ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Professor Dr.lateef abdulsada sarhan
University: Wasit University
College: College of Basic Education
Email: lateefsharhan@uowasit.edu.iq

Keywords:
Emphasis, implicit pattern, communicative gap, communicative discourse.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	6 May 2022
Accepted	3 Jun 2022
Available online	1 July 2022

Emphasis in Arabic is a Study in the Light of Implicit patterns

A B S T R U C T

A large number of emphases in Arabic and the multiplicity of its patterns and the diversity of its methods represent a linguistic phenomenon with an influential semantic value, for its control in determining the meanings and revealing the intentions in the discourse. The emphatic in his communicative discourse as well as its linguistic motives and linguistic extensions.; The implicit patterns that are embedded in the emphasis structure constitute a dangerous epistemological mulch in its formation and its frequent circulation stemming from the conflict of the Bedouin and urban environments, and the communicative gap and discontinuity caused by that conflict in the discourse chain, so the affirmation comes with its abundant credentials to bridge the crack of that chain and restore its reporting communication in the receiving space.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

التَّوكيدُ في العربيَّة دراسةٌ في ضَوء الأنسَاقِ المُضمَرة

أ.د.لطيف عبد السادة سرحان / جامعة واسط – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تمثل كثرة المؤكدات في العر بية وتعدد أنماطها وتنوع طرائقها ظاهرة لغوية ذات قيمة دلالية مؤثرة ؛لتحكُّمها في تحديد المعاني وكشف المقاصد في الخطاب ، ومن ثَمَّ تستدعي الوقوف على أسبابها ومعرفة أساليبها من خلال البحث في الحيثيات الأنثروبولوجية والجذور المعرفية والروافد الثقافية الواقفة وراء توخي مستعمل اللغة للبنية التوكيدية في خطابه التواصلي فضلاً عن دواعيها اللغوية وامتداتها اللسانية ؛ إذ تؤلف الأنساق المضمرة التي تستبطنها بنية التوكيد مهاداً معرفياً خطيراً في تشكلها وكثرة تداولها ، منبثقة من صراع البيئتين البدوية والحضرية وما يحدثه ذلك الصراع من فجوة تواصلية وانقطاع في سلسلة الخطاب ، فيأتي التوكيد بمصاديقه الغفيرة ليرأب صدع تلك السلسلة ويعيد تواصلها الإبلاغي في فضاء التلقي .

الكلمات المفتاحية : التوكيد ، النسق المضمر ، الفجوة التواصلية ، الخطاب التواصلي

مقـدِّمــة

لاريب في أنَّ التوكيد في العربية يمثل نمطاً من أنماط الشجاعة فيها ؛لما ينطوي عليه من قيمة تعبيرية تواصلية قد لايغني عنه تعبير أو أسلوب آخر في ذلك ؛ إذ تلتقي فيه مجموعة كبيرة من أحوال الكلام في مستواه الفونيمي والصرفي والتركيبي فضلاً عن الدلالي ، فقد يُستعمل لتوكيد المعنى صوتٌ لغوي أو بنية صرفية أو تركيب نحوي أو علاقة دلالية ، فهو – أي التوكيد- منجز استعمالي دلالي ،بمعنى أنه يولد من رحم السياق على الرغم من حيثياته الفونيمية أو البنيوية المؤكِّدة في الجملة أو النص ، وهو مقصود بمعنى أنه لاينفكُّ عن القصد الواقف وراءه والمؤلِّف من أجله؛إذ لابد للتوكيد من مؤكَّد يعرب عن القصد ويحكي مؤداه .

وليس التلفظ (المراد بالتلفظ أنَّ دلالة الملفوظ محكومة بما تدل عليه بنيته العميقة من معنى قصدي على وفق ما يتضمنه من إضمار واقتضاء وبعد إحالي وما تستدعيه من تأويل للوقوف على المراد ، ينظر : اسماعيلي ،2010 ، 243/2 – 246).

ببعيد عن توجيه هذا القصد الوجهة التي يؤمها مراد المتكلم ومن هنا فقد ينحو به منحى يناسب مقامه وحيثياته ،ومن ثم فإنَّ أثر التداول كبير على تشكل دلالاته وتحديدها في النص أو السياق الذي له السهم الوافر في بنيته المؤكدة ، وعلى هذا يمكن القول إنَّ التوكيد لغة مؤكِّدة لإنتاج معنى مؤكَّد .

وبلحاظ هذا التنوع والتعدد في حدود التوكيد سواء أكان على مستوى السياق اللغوي وعناصره اللغوية أم السياق المقامي وقرائنه المختلفة فإنَّ جذوره المعرفية ودواعيه التواصلية تقع خارج الإطار اللغوي وهو ما سنقف عنده لاحقاً ؛ انطلاقاً من أنَّ التوكيد مراعاة دلالية من المتكلم – بوصفه مخاطَباً مفترَضاً – لحال المخاطب بوساطة النسق المضمر الكاشف والمظهر لأسباب تلك المراعاة لكونه معرفة خلف أسوار اللغة وأروقة الكلام .

التوكيد وأنواعه في العربية .

قبل الدخول في بحث النسق المضمر وحيثياته المعرفية لابد من الوقوف عند مفهوم التوكيد و أنواعه في الاستعمال اللغوي بما يناسب المقام ؛ فالتوكيد يعني محاولة المتكلم تمكين المعنى وتقويته في نفس المتلقي دفعاً لوقوع الغلط والتأويل أو رفعاً لهما إن وقعا إما بتكرير المعنى بلفظه أو بغير لفظه للإحاطة والعموم أو للتثبيت والتمكين سواء أكان ذلك بصوت أو بنية أو تركيب (ينظر : ابن جني، د.ت، 3/ 103 - 104، ابن يعيش ،د.ت، 578/1) وعلى هذا فالتوكيد هو المؤكَّد في حقيقته مثلما أنَّ الصفة هي حقيقة الموصوف (ينظر : الجرجاني ، 1992، 227).

وقد تشترك في تحقق مفهوم التوكيد مفاهيم أخرى ترادف مصطلح التوكيد كمفهوم (الزيادة)الذي يحمل في جلِّ أحواله مضمون التأكيد ؛ إذ ((كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى)) (المرادي ،1976،138) وهو بناءً على ذلك منطوٍ على دلالة توكيدية ((ولولا أنَّ في الحرف إذا زيد ضرباً من التوكيد لما جازت زيادته البتة)) (ابن جني ،2000، 1/ 281). وعلى الرغم من أنَّ هذا المفهوم منبثق من البنية التركيبية المؤدية إلى تحقيق المعنى النحوي بيد أنه من ناحية أخرى هو مرتَكَز دلالي للتوكيد في تلك البنية؛ ((لأنَّ قولنا زائد ليس المراد أنَّه قد دخل لغير معنى البتة بل زيد لضرب من التأكيد)) (ابن يعيش ، د.ت، 41/4) .

وإلى جانب (الزيادة) هناك مصطلحات أخرى تمثل مفاهيم توكيدية كـ(التطوُّع) الذي هو قول ما لايجب من المعاني والالتزام به للدلالة على غزارة المحتوى وسعته وهو مشامٌّ للتوكيد داخل فيه (ينظر : ابن جني ،د.ت، 234/2 ، 267) ؛لأنَّه تكرار للمعنى ولاسيما في النعت كقوله تعالى : ((لاتتخذوا إلهين اثنين)) (النحل /51).

و(الاحتياط) الذي يرى فيه بن جني ((أنَّ العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له ، فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين : أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قولك : قام زيد قام زيد ... والثاني تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين أحدهما للإحاطة والعموم والآخر للتثبيت والتمكين ، الأول كقولنا : قام القوم كلهم ...والثاني نحو قولك : قام زيد نفسه)) .(ابن جني ، د.ت، 3/102-104).

و(التَّضَام) الذي هو حالة دلالية مترتبة على انتقاض الوضع الدلالي السابق بطارئ من أحوال الكلام ((من ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبراً ، وذلك قولك : مررت برجل أي رجل . فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهماً)) (ابن جني ، د.ت، 3/269)

ولبنية التوكيد أنواع متعددة وأنماط مختلفة في الاستعمال العربي مشتقة من مفهوم التكرير فيها على وفق مستويات البحث اللغوي وأحوال الكلام (ينظر على سبيل المثال : بشر ، 2000 ، 623، دراسة الصوت اللغوي ، عمر ،1991 ،218 وما بعدها ، النحوي ،1999 ،408، 551 وما بعدهما ، إبراهيم ، 1957 ، 71 وما بعدها ، السامرائي ،2003، 4/ 112 وما بعدها ، السكاكي ، 2011 ، 291 وما بعدها ،387 وما بعدها ، 400 وما بعدها ، 470 وما بعدها ، القزويني ،2007، 61 وما بعدها ، التفتازاني ،1387 ، 80 ، 185 وما بعدهما).
، فعلى المستوى الصوتي (الفونولوجي) لا تخلو الفونيمات فوق التركيبية من دلالة توكيدية كالذي نجده في (التنغيم) بوصفه إطاراً موسيقياً للجملة ، ولايبعد أن يكون للنبر في العربية وأحوال كلامها تلك الدلالة أيضاً فيما يعرف بالنبر التوكيدي (ينظر : العيسى ، 2011، 36 – 38 ، مصلوح ،2005، 239 ، حسان ،163،1990).

، فضلاً عن الإيقاع الشعري أو الموسيقي العام للنص مثلما نجده في السجع والفاصلة القرآنية مثلاً .

أما المستوى البنيوي (الصرفي) فهو مليء بالمؤكدات المورفولوجية كما في نوني التوكيد وبعض جموع التكسير وصيغ حروف الزيادة وصيغة تاء الافتعال وأبنية المبالغة وغيرها .

وكذا الحال على المستوى التركيبي إذ هناك التوكيد اللفظي ونظيره المعنوي إلى جانب ما في بقية الأبواب من منحى توكيدي مثلما في إنَّ وأخواتها وحروف المعاني والمفعول المطلق والقسم وغير ذلك من الموضوعات النحوية التي تشترك وعلم المعاني في البلاغة كالتقديم والتأخير والقصر والحصر فضلاً عن الموضوعات البلاغية الأخرى كالمجاز والإطناب والتكرير والتطويل والتذييل وتأكيد الذم بمايشبه المدح والمدح بما يشبه الذم وما إلى ذلك . وصولاً إلى المستوى الدلالي الذي يعنى بكل ما تقدم فضلاً عن موضوعات علم الدلالة نفسه كالترادف والإتباع مثلاً .

النسق المضمر

حين تُذكر في مثل هذه الدراسة الجذور المعرفية الأنثروبولوجية بفروعها الثقافية والاجتماعية واللغوية وسواها (تتعدد أنواع الأنثروبولوجيا وتتباين اهتماماته بالفئات المستهدفة بين الباحثين في ضوء المنهج المتبع في دراسة تلك الفئات ،فهناك الأنثروبولوجيا الجغرافية والنفسية والفلسفية والتأريخية والسياسية وما إلى ذلك ، ينظر : الشماس ،2004، 36 وما بعدها) ، فإنَّما يراد بها المهاد الطبيعي لمنجزلغوي كالتوكيد ؛ لما لها من أهمية في أنها تقف وراء ذلك المنجز وتسهم في تفسير كثرة مصاديقه وتنوعها في الاستعمال اللغوي ، إذ يمكن في ضوئها استجلاء العناصر الـ(ميتا لغوية) المتحكمة والمؤثرة في نوع التوكيد وعديده في الاستعمال العربي .

وقبل الولوج في حيثيات النسق المضمر الواقف وراء كثرة المؤكدات ، لابد من الوقوف عند المصطلح وما قد يثيره من فكرة تتداخل فيها دلالته هذه وما يشيع في الحقل النقدي ولاسيما (النقد الثقافي) من اصطلاح مماثل .

وعلى الرغم من أنَّ تتبع الأثر المعرفي وراء الإبداع اللغوي عامة قد تنقدح شرارته من النصوص نفسها وهو ليس أمراً جديداً ؛ إذ قد أثير الكثير من الآراء بشأن أصالة العلوم والفنون والإبداعات إلى عرق معين أو حضارة ما أو فئة خاصة ، بيد أن تلمس وجود نسق معرفي مضمر وراء الاستعمال الكثير للتوكيد في العربية قد لا يقتصر على ما مر آنفاً بل يمكن استجلاء أمارات ذلك النسق من خلال البنية اللغوية ونظام الكلام فيها ، وهذا ما بحثه رومان ياكبسون في نظرية التواصل وما نتج عنه القول بالوظيفة المرجعية للغة ،ومن هنا فإنَّ مقولاته تعد الارتكاز النظري لما عليه هذا البحث وما ينطلق منه المنظرون للنسق المضمر في النقد الثقافي ، ذلك الذي قد يبدو للوهلة الأولى أنه من جنس ما نبحثه هنا .

إذ يقسِّم ياكبسون - في إطار نظرية التواصل- الحدثَ اللغوي على ستة عناصر (ينظر : الشهري ،2004، 12-13) هي (المرسل والمرسل إليه والرسالة وقناة الاتصال والسَّنَن والسياق) وكل منها يرتبط بوظيفة من وظائف اللغة التي قسَّمها كذلك على ستة أقسام أيضاً ،جاعلاً من عناصر الحدث اللغوي أساساً لتلك الوظائف وهي كما يأتي :

1 – الوظيفة التعبيرية .

وهي الوظيفة المرتبطة بمرسل الرسالة اللغوية، فوظيفة اللغة هنا تعبيرية ولاسيما في حالات المتكلم الانفعالية والعاطفية .

2 – الوظيفة الإفهامية .

وهي وظيفة مرتبطة بالمرسل إليه؛ لذا تكثر فيها ضمائر المخاطب للتأثير فيه .

3 – الوظيفة الشعرية .

وهي مرتبطة بالرسالة اللغوية نفسها الحاملة للمعنى ، وعلى هذا تكون حاملة الوظيفة الشعرية للغة .

4 – الوظيفة الانتباهية .

وهي وظيفة مرتبطة بقناة الاتصال بلحاظ لفت الانتباه إلى الاتصال والحفاظ عليه بحسب مقتضيات الاتصال وهدف رسالته اللغوية .

5 – الوظيفة المرجعية .

وهي وظيفة موضوعية مرتبطة بالسياق المشتمل على الرسالة اللغوية أي المرجعية التي أنتجت تلك الرسالة لذا يغلب فيها ضمير الغائب .

6 – وظيفة ما وراء اللغة .

وهي المرتبطة بالسنن والكفاية والنظام اللغوي المعلوم بين الطرفين وتعنى بوصف اللغة نفسها وتوضيح المقصود التواصلي في الرسالة من خلال إعادة توضيح المراد اللغوي باللغة نفسها .

وتأسيساً على هذا المنظور التواصلي الذي وضعه ياكبسون بحث بعض المحدثين الأنموذج التواصلي في النقد الثقافي كالغذَّامي الذي أضاف وظيفة سابعة إليه سمَّاها (الوظيفة النسقية) وربطها بعنصر سابع لعناصر الحدث اللساني عند ياكبسون سمَّاه (العنصر النسقي) (ينظر : الغذامي ،2005، 65- 78)،ورأى أنَّ ما يحدد النسق وظيفته لا وجوده المجرد ، تلك الوظيفة التي يشترط في تحققها أربعة أمور هي (ينظر : الغذامي ،77،2005-78):

1 – أن يحدث نسقان في آن واحد ونص واحد أو ما هو بحكمه (الخطاب) .

2 – أن يكون النسق المضمر منهما مناقضاً لنظيره المعلن .

3 – أن يكون النص جميلاً في الأصل على مستوى الإبداع والتلقي .

4 – أن يحظى النص بقراءة جماهيرية واسعة .

وعلى وفق هذا يضع الغذَّامي ما يصطلح عليها بـ(الدلالة النسقية) في النقد الثقافي - مستنداً إلى ما يدعوها بـ(الجملة الثقافية) - إلى جانب الدلالة الضمنية الجمالية في الأدب وما تستند إليه من جملة أدبية والدلالة الصريحة للنحو وما تستند إليه من جملة نحوية (ينظر : الغذامي ،2005، 73-74) ، وفي ضوء هذا كله فإنَّ ما عليه هذا المفهوم مباين لمفهوم النسق المضمر الذي نحن بصدده واقتفاء أثره لتفسير كثرة التوكيد في العربية ؛ إذ ينطلق الأخير من الدلالة المرجعية التي قال بها ياكبسون ، تلك المرتبطة بعنصر السياق وهذا ما نجده عند تأمل تلك الكثرة التوكيدية فيعود بنا المنحى المرجعي إلى السياق المقامي المحتضن للاتجاه الثقافي والمعرفي الذي نمت في إطاره فكرة التوكيد وكثرته .

وعلى هذا فإنَّ تلمس الجذور المعرفية في مفهوم النسق المضمر هنا قد لا تحيلنا إلا على السياق وحيثياته المتحكمة بإنتاج ذلك النسق وتداعياته اللغوية كما هي في كثرة التوكيد ، وبناء على هذا فالفرق بيّن بينه وبين نظيره في النقد الثقافي ، على أنَّ ما ذكره الغذَّامي من إضافة الدلالة النسقية رأي فيه نظر ؛إذا علمنا أنَّ الأنساق المضمرة ما هي إلا منجز سياقي مقامي تظاهرت على إنتاجه منظومة معرفية مرتبطة بالمجتمع وثقافاته ، وعلى هذا فالأمر عائد إلى الدلالة المرجعية المرتبطة بعنصر السياق مثلما ذكر ياكبسون ، أما أن يكون النسق دلالة مستقلة فهو مما لايسعفه أنموذج التواصل اللغوي ؛ إذ ليس له مرتكز موضوعي فيه نظراً إلى أنَّ النسق محتوى سياقي ومن ثَمَّ فهو متصل بالدلالة المرجعية وليس له وجود مستقل يمكن أن يقف شاخصاً مستقلاً في تمثيل المعنى النسقي على مستوى التواصل أو الحدث اللساني نفسه .

فالنسق وما يرتبط به من دلالة نسقية أو وظيفة نسقية أو جملة ثقافية نسقية لايمتلك وجوداً دلالياً منفصلاً ، بل هو مَلَفَّقٌ أنثروبولوجي ناتج من التعاقد الاجتماعي على أفكار وتقاليد وثقافات وعادات وسواها لتؤلف كلها مجتمعة جذوراً معرفية متحكمة بحيثيات السياق المقامي والقرائن المؤثرة فيه ومن ثَمَّ يعود به المطاف إلى مرجعية السياق المقامي .

وبناءً على ما مر فإنَّ النسق المضمر الثقافي مشتغل في النصوص الإبداعية الجمالية ذات السمة الجماهيرية لاستجلاء قيمها الأدبية في ضوء تناقضه والنسقَ المفهوم في دلالة النص الظاهرة ، في حين يعنى النسق هنا بخلفيات الاستعمال اللغوي الأنثروبولوجية لاستظهار الجذور المعرفية في ضوء المستوى العملي من اللغة وهو الكلام ، وعلى هذا فإنَّ ما يقف وراء النسق المضمر مجموعة أسباب منها لغوية فيلولوجية وأخرى أنثروبولوجية يمكن تناولها على النحو الآتي :

أولاً : الأسباب اللغوية (الفيلولوجية) .

لعل من أكثر العلل موضوعية في اللغة تلك التي تستند إلى واقع لغوي مستعمل في الكلام ، وعند النظر في أسباب كثرة التوكيد بهدي المنهج التأريخي (الدياكروني) لانعدم وجود مثل تلك الأسباب والعلل ذات العلقة بتراكم الاستعمال اللغوي بفعل الإرث اللساني المتعاقب وحركة التطوراللغوي المستمرة ، ويمكن تناوله على قسمين :

1 – الموروث اللغوي السامي (قد لا يتسع المقام لذكر الأمثلة لكن يمكن الاطلاع عليها في مظانها ، فمثلاً ما يتعلق بالصيغ المزيدة والأدوات ينظر : موسكاتي ،1993 ، 134 وما بعدها ، 204 وما بعدها ، وما له صلة بترتيب أجزاء الجملة ينظر : بيستون ،1992، 126- 127).

هناك الكثير من الألفاظ والأدوات والصيغ والأساليب المستعملة في تحقيق معنى التوكيد منحدرة من أصل العربية السامي في أسرتها اللغوية الجزرية ، مما كان له صلة مباشرة بالمستعمل العربي لفظاً ودلالة أو ما كان يمثل له أصلاً لغوياً بنحو صوتي أو صرفي أو تركيبي .

2 – التطور الدلالي (ينظر : فندريس ،د.ت، 271 وما بعدها ، أنيس ،2004، 103 وما بعدها)..

بلحاظ عمر العربية الطويل فإنَّ استعمالاتها المختلفة قد طالها قانون التطور اللغوي ذو الحركة القهرية ولاسيما الدلالي منه ، ومن ثَمَّ أصاب أسلوب التوكيد وأدواته وحيثياته التغيير الدلالي وصولاً إلى مرحلة (البلى) الدلالي في بعض استعمالاته ، ليؤلف ذلك تراكماً توكيدياً في العربية بفعل انتقال الاستعمال من صيغة إلى أخرى ومن أداة إلى سواها ، ونتيجة لذلك صار العدد الكبير لأسلوب التوكيد وطرائقه المختلفة .

3 – المجاز .

يعتقد جان جاك روسو أنَّ اللغة في أصلها مجازية استناداً إلى المعاني الاستعارية التي عبر بها الناطقون عن مشاعرهم وعواطفهم (ينظر : روسو ،1986، 35). ، وفي هذا يرى ابن جني ((أنَّ أكثر اللغة مع تأمله مجازلاحقيقة وذلك عامة الأفعال ... ألا ترى أنَّ الفعل يفاد منه معنى الجنسية ، فقولك : قام زيد معناه : كان القيام أي هذا الجنس من الفعل ومعلوم أنَّه لم يكن منه جميع القيام ... وإنَّما هو وضع الكل موضع البعض للاتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير)) (ابن جني ،د.ت، 247/2 – 248).

وعلى الرغم من أنَّ المجاز يحمل في بنيته معنى توكيدياً إلى جانب قسيميه الاتساع والتشبيه في ضوء ما يذهب إليه ابن جني إذ يقول : ((وإنَّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة)) (ابن جني ،د.ت، 442/2)غير أنه - أي المجاز- يحوج مستعمل اللغة التي يكتنفها إلى توخي التوكيد للعودة بالمخاطب من المعنى المجازي وضعف الإتصال الخطابي إلى دائرة الإفهام والتواصل لإدراك المعنى الحقيقي ، وعلى هذا ((فإذا عرف التوكيد لم وقع في الكلام – نحو نفسه وعينه وأجمع وكله وكلهم وكليهما وما أشبه ذلك – عرفت منه حال سعة المجاز في هذا الكلام ؛ ألا تراك قد تقول : قطع الأمير اللصَّ ويكون القطع له بأمره لابيده ، فإذا قلت : قطع الأمير نفسه اللصَّ رفعت المجاز من جهة الفعل وصرت إلى الحقيقة ... فوقوع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز واشتماله عليها)) (ابن جني ،د.ت، 450/2-451) .

ثانياً : الأسباب الأ نثروبولوجية .

أما الأسباب الأنثروبولوجية المؤلفة للنسق المضمر فيمكن تلمسها في طبيعة تشكل بنية العقل العربي وطريقة تفكيره في إدارة الحوار التواصلي ومستوى تعبيره عن مقاصده التي ينوي إيصالها إلى متلقيه .

ولاريب في أنَّ للبيئة أثراً كبيراً في تحديد تعاطيه حيثيات الواقع المعاش سواء أكان على المستوى الفردي أم الاجتماعي ومن ثَمَّ يمتزج ذلك – بحكم الاقتران الكبير بين اللغة والفكر – بسلوكه اللغوي ومنجزه التواصلي فيميل من حيث يشعر أو لايشعر إلى اقتفاء الإقناع والحجاج متوخياً أسلوب التوكيد في سبيل تحقيق مراده .

ولعل من أهم مصاديق تلك البيئة المؤثرة الواقع الجغرافي بتضاريسه المختلفة من صحراء وجبال وسهول وما يلازمه من تنوع مناخي من حيث الشدة والرخاء فضلاً عن الواقع الاجتماعي المتبَع بوجود الواقع الجغرافي وتبعاته المتحكمة بطرق العيش ومسالك البقاء ، وينتج من ذلك كله وجود ثنائية جدلية ناتجة من حدوث انقطاع في سلسلة التواصل اللساني في ظل تلك الظروف وصولاً إلى ما يمكن تسميته بـ(الفجوة التواصلية) وظهور حل تواصلي لذلك الانقطاع متمثل بـ(كثرة المؤكدات).

الفجوة التواصلية والتوكيد.

من المعلوم أنَّ وجود التوكيد في أي خطاب إنَّما هو محاولة جادة لمعالجة عائق تواصلي في الخطاب سواء أكان واقعاً فعلاً أم متوقَعاً ، وهذا العائق يمكن الاصطلاح عليه بالفجوة التواصلية بوصفه منتجاً أنثروبولجياً بفعل الاختلاف البيئي المحيط بعناصر الخطاب ومقوماته ، ومعلوم أيضاً أنَّ المسؤول عن ذلك في البيئة العربية البادية ونظيرتها الحاضرة ، إذ لكل منهما طبيعة مستقلة في العيش والثقافة والعادات والتقاليد والأعراف والمواضعات الاجتماعية والتعاقدات وغير ذلك مما له يد في تشكل شخصية الفرد ضمن إطاره الاجتماعي ، وفي ضوء التفاوت القائم بين البيئتين يحدث ذلك الانقطاع في سلسلة التواصل بفعل مُفرَزين ناتجين من الواقع البيئي المتفاوت هما (للوقوف أكثر على حيثيات هاتين البيئتين وتداعيات العيش فيهما مما له صلة بموضوع البحث ينظر : ابن خلدون ،1988، 84-105 ، الحوفي ،د.ت، 282، 294 وما بعدهما).

: الطبقية والسلطة .

1 – الطبقيَّة .

يدرك وجود التفاوت الاجتماعي (الطبقية) بوجود بيئتي البادية والحاضرة ؛ إذ لكل منهما ما يؤهلها أن تكون طرفاً في ذلك التفاوت، فالبادية بيئة مرتكزة على ظروف الحياة الصحراوية القاسية وما يرافق ذلك من صعوبة العيش وشدة وصعوبة وغلظة متحكمة بطبيعة بناء الفكر الفردي وتشكل العقل الجمعي وأنماط التعامل المعيشي المختلفة ،التي تهتم كثيراً بمعالجة تبعات المواضعات الاجتماعية والقيم السائدة والعادات التي فرضتها جميعاً حيثيات الوجود البدوي البعيد عن مشارف الحضارة والمدنية ، ذلك الوجود الحافل بالتعصب القبلي ومنشغل بالثأر والغزو والإغارة طلباً لإثبات ذاته البدوية ، وبهذا يمكن أن توسم البيئة البدوية بـ(التخلُّف الحضاري والتخلُّق الوضعي) الناتجين من

الشقاء المعيشي والانشغال بالدفاع عن الموروث الاجتماعي بالتعصب القبلي . إلى جانب هذا توجد البيئة الحضرية وما فيها من حياة التمدن والاختلاط والوفود إذ تحفل بميراث ثقافي على المستوى الفكري وانماط التعايش الاجتماعي ؛ كونها – في أغلب أطوارها- حاضرة التجمع العلمي والسياسي والإداري ، ومن هنا مثلت في كثير من أحوالها الفئة المستهدفة بالدعوات الدينية السماوية والشرع الوضعية .

ولاريب في أنَّ ذلك كله يحقق نوعاً من الرخاء والترف والرقي بلحاظ أنَّ تعاظم الموارد المالية وانتعاش حركة التجارة مدعاة للاستقرار السكاني ويربو على سد الحاجات المرافقة لذلك الاستقرار ، ومن الطبيعي أن يصاحب وجودُ عناصر ومقومات المجتمع المتحضر وجودَ ما يلازم ذلك من حضور نوعي مثقف يمثل النخبة والصفوة العلمية ويضطلع بمهمة مخاطبة جمهور المتلقين داخل هذه البيئة وخارجها ؛لتصدير ثقافته وأفكاره وتواضعاته وغير ذلك خالعاً عليها الكثير من نوازعه النفسية والاجتماعية ومسقطاً عليها قناعاته ورؤاه .

وبلحاظ المحتوى المعرفي المراد تصديره من البيئة المتحضرة والمحتوى القبلي المراد بقاؤه في البيئة البدوية تطرأ على سلسلة الخطاب التواصلي متلازمة (الفجوة التواصلية) سواء أكان ذلك على مستوى البيئة الواحدة وطبيعة الخطاب بين النخبة والجمهور أم على مستوى البيئتين بوصف إحداهما مخاطباً والأخرى متلقياً ، ومن هنا تظهر الحاجة إلى الإقناع والحجاج في خطاب كلتيهما وتوخي التوكيد وتعدد أنماطه وطرائقه ؛ لإثبات المعنى المقصود والتعبير عنه ومحاولة إفهام المتلقي محتواه وإقناعه بجدواه .

2 – السُّلطة .

من خلال ما مر بيانه من حيثيات البيئتين وما تتسم به البادية من ضروراتها المعتادة وانتحاء خطابها ناحية الإقناع والحجاج والتوكيد ؛دفاعاً عن مِلاكها القبلي في جُلِّ توجهاتها إذا افترضنا وجود خطاب منبثق من وازع مدني وافد على البيئة البدوية منبرٍ لتسويغ المحتوى المعرفي فيها ؛بلحاظ صعوبة القطع في مثل هذه الأحوال بخلوص أي البيئتين من وجود بعض خصائص الأخرى فيها ونقائها منها .

كذلك الحال فيما تنماز به الحاضرة من مقومات المدنية وتوخي نخبها الخطاب الإقناعي والحجاجي المؤكَّد لتصدير محتواها المعرفي في أغلب أحوالها ، إذ لا تنفي بنية الحاضرة الاجتماعية وطبيعة تكوينها الإيديولوجي أن يكون الخطاب فيها منبثقاً من اتجاه قبلي تعصبي للدفاع عن المحتوى البدوي المنساب بين أروقتها .

ويمكن القول إنَّ في كلتا البيئتين يمكن أن ينشب صراع (إثني) بين المجتمع سواء أكان على مستوى البيئة الواحدة أم كلتيهما ، أما البادية فلأوار التعصب للموروث الاجتماعي فيها أثر في خلق (صراع قبلي)، يناظره في البيئة الحضرية (صراع طبقي) ناتج من التفاوت بين قاطنيها ، ومهما كان نوع الصراع فإنَّه مستند إلى منحى سلطوي قائم على الرغبة الجامحة بتحقيق الغلبة، تُغذِّيه في الحاضرة منابع الاتجاه الذكوري الطامح إلى السيادة والاتجاه الفحولي في البادية .

ولاريب في أنَّ وجود مثل هذا التصارع بداعي السلطة يعني وجود ما يحدث عائقاً في طريق سلسلة الأنموذج التواصلي وانقطاعاً في تآصر الحدث اللساني وهو الفجوة التواصلية، مما يستدعي توكيداً مكثفاً لرأب الصدع وإصلاح الخرم .ومثلما يحدث هذا كله في ظل البيئتين كذلك يمكن أن يحدث نتيجة صراع الثنائيات المتضادة كالسلم والحرب والحب والكراهية والعدالة والظلم والغنى والفقر والإيمان والكفر والقوة والضعف والشجاعة والجبن والجود والبخل والحرية والاستعباد وغير ذلك مما له صلة بمناخات التفاوت الطبقي ومنحى التسلط القيمي .

النتائـــج .

في ضوء ما مرَّ يمكن أن نخلص إلى جملة نتائج هي :

1 - تمثل كثرة المؤكدات في العربية بنية أسلوبية لبنية معرفية قابعة خلف السياق المقامي وحيثياته الفكرية .

2 – يؤلف البعد البيئي الاجتماعي حاضنة أصيلة لمحتويات النسق المضمر وخلفياته المعرفية لما تحمله من مواضعات وثقافات تعد عنصراً مهيمناً في إيجاده .

3 – تشير كثرة التوكيد في الخطاب العربي إلى وجود تيار حجاجي إقناعي منبثق من التفاوت والازدواج الاجتماعي لبيئة ذلك الخطاب .

4 – تشكل الفجوة التواصلية قناة موصلة بين البيئة المنتجة للنسق المضمر المتحكم بخطابها المُعاق، والمتكأ التواصلي لرأب الصدع في كثرة التوكيد .

5 – تعد الوظيفة المرجعية للغة في الأنموذج التواصلي المستندَ الحقيقي للنسق المضمر بوصفه رسوًّاً دلالياً قاراً في غياهب السياق المقامي ليكشف مكنوناتِه التوكيدُ وكثرةُ مصاديقه التواصلية .

6 – يمكن أن تكشف الأنساق المضمرة عن قيمة معرفية لشجاعة العربية ليس فقط من خلال إظهار قدرتها على التعبير والتواصل ؛ بل لأنَّها تظهر المقاصد الدقيقة والمضمرات ذات المضامين العالية التي تعرب عن نفائسها بلحاظ الحيثيات الأنثروبولوجية المتحكمة بها.

المصـــــــادر والمراجع .

القرآن الكريم

[1] – إستراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري،ط1، دار الكتاب الجديد ، بيروت ،2004 م.

[2] – الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط3، مؤسسة المختار ،القاهرة،2007م.

[3] – التكملة ، أبو علي النحوي ، تحقيق ودراسة : د. كاظم بحر المرجان ، ط2،عالم الكتب – بيروت ، 1999م.

[4] - الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي، تح: طه محسن،مؤسسة دار الكتب ،1976م.

[5] - الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: د. حافظ اسماعيلي،ط1، عالم الكتب الحديث، 2010م.

[6] – الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د.أحمد محمد الحوفي ، دار القلم ،بيروت ، د.ت .

[7] - الخصائص ،أبوالفتح عثمان بن جني،تحقيق: محمد علي النجار ،ط2،دار الهدى- بيروت،د.ت .

[8]– دراسة السمع والكلام ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، د.ط، عالم الكتب – القاهرة ،2005م .

[9] – دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ،د.ط،عالم الكتب – القاهرة ،1991م .

[10]- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني،قرأه وعلَّق عليه :محمود محمد شاكر،ط3،مطبعة المدني- القاهرة،1992.

[11]– دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2004م.

[12] - سر صناعة الإعراب ، عثمان بن جني،تحقيق:محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة،ط1،دار الكتب العلمية- بيروت،2000.

[13]- شرح المفصل ، موفق الدين ابن يعيش، تح: أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت.

[14]– علم الأصوات ، د. كمال بشر ، د.ط،دار غريب- القاهرة ،2000م.

[15] – عمدة الصرف ، كمال إبراهيم ، ط2،مطبعة الزهراء – بغداد ، 1957م.

[16] – قواعد العربية الجنوبية ، ف.ل.بيستون، ترجمة : د.خالد اسماعيل ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1992م.

[17]- اللغة ، ج.فندريس، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، لجنة البيان العربي ، د.ت.

[18] – محاولة في أصل اللغات، جان جاك روسو ،تعريب:محمد محجوب،دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد،1986.

[19] – مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، د. عيسى الشَّماس،إتحاد الكتَّاب العرب، دمشق ، 2004م.

[20] – مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينوموسكاتي وآخرون، ترجمة : د. مهدي المخزومي ود. عبد الجبار المطلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت ، 1993م.

[21] – المطول ، التفتازاني، صححه وعلق عليه : أحمد عزو عناية، ط1،دار الكوخ للطباعة والنشر ، 1387.

[22] – معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط2،دار الفكر –عمان،2003م .

[23] – مفتاح العلوم ، السكاكي ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط2،دار الكتب العلمية ، بيروت،2011م.

[24] - مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حجر عاصي، مكتبة الهلال، بيروت ،1988م.

[25] – مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ،د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، 1990م.

[26] – النبر في العربية ، د. خالد عبد الحليم العيسى ، ط1، عالم الكتب الحديث ، إربد ، 2011م .
[27] – النقد الثقافي ، عبدالله محمد الغذّامي، ط3،المركز الثقافي العربي،بيروت،2005م.

resources and references

The Holy Quran

[1]- Discourse Strategies, Abd al-Hadi bin Dhafer al-Shehri, 1st Edition, Dar al-Kitab al-Jadid, Beirut, 2004 AD.

[2] - Clarification in the Sciences of Rhetoric, Al-Qazwini, edited by: Dr. Abdul Hamid Hindawi, 3rd floor, Al-Mukhtar Foundation, Cairo, 2007.

[3]- The supplement, Abu Ali Al-Nahawi, investigation and study: Dr. Kazem Bahr al-Murjan, 2nd Edition, World of Books - Beirut, 1999.

[4]- The Proximate Genie in the Letters of Meanings, Hassan bin Qasim Al-Muradi, edited by: Taha Mohsen, Dar Al-Kutub Foundation, 1976 AD.

[5]- Al-Hajjaj its concept and its fields, supervised by: Dr. Hafez Ismaili, 1st Edition, Modern Book World, 2010.

[6] - The Arab Life from Pre-Islamic Poetry, Dr. Ahmed Muhammad Al-Hofi, Dar Al-Qalam, Beirut, d.

[7] - Characteristics, Abul-Fath Othman bin Jani, investigative by: Muhammad Ali Al-Najjar, 2nd edition, Dar Al-Huda - Beirut, d.

[8] - Study of hearing and speech, d. Saad Abdel Aziz Maslouh, d., World of Books - Cairo, 2005 AD.

[9] - Study of the linguistic sound, d. Ahmed Mukhtar Omar, d., The World of Books - Cairo, 1991.

[10] - Evidence of Miracles, Abd al-Qaher al-Jurjani, read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker, 3rd edition, Al-Madani Press - Cairo, 1992.

[11] - The meaning of words, d. Ibrahim Anis, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 2004 AD.

[12] - The Secret of the Syntax Industry, Othman bin Jani, investigation: Muhammad Hassan Muhammad Hassan Ismail and Ahmad Rushdi Shehata, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 2000.

[13] - Sharh al-Mofassal, Muwaffaq al-Din Ibn Yaish, edited by: Ahmed El-Sayed Ahmed, Al-Tawfiqia Library, Cairo, d.T.

[14] - Phonology, d. Kamal Bishr, Dr., Dar Gharib - Cairo, 2000 AD.

15 - Umdat Al-Sarf, Kamal Ibrahim, 2nd floor, Al-Zahraa Press - Baghdad, 1957 AD.

[16] - Grammar of Southern Arabia, F.L. Beeston, translated by: Dr. Khaled Ismail, Iraqi Scientific Academy Press, 1992.

[17]- Language, J. Fenderes, translated by: Abdul Hamid Al-Dawakhli and Muhammad Al-Qassas, The Arabic Bayan Committee, d.T.

[18] - An attempt at the origin of languages, Jean-Jacques Rousseau, Arabization: Muhammad Mahjoub, House of General Cultural Affairs - Baghdad, 1986.

[19] - Introduction to Anthropology, d. Issa Al-Shamas, The Arab Writers Union, Damascus, 2004 AD.

[20] - An Introduction to Comparative Semitic Languages, Spatinomoscati et al., translated by: Dr. Mehdi Makhzoumi and d. Abdul-Jabbar Al-Muttalebi, 1st Edition, World of Books, Beirut, 1993.

[21]- Al-Matwil, Al-Taftazani, corrected and commented on by: Ahmed Ezzo Inaya, 1st Edition, Dar Al-Kokh for Printing and Publishing, 1387.

[22] - The meanings of grammar, d. Fadel Saleh Al-Samarrai, 2nd Edition, Dar Al-Fikr - Amman, 2003 AD.

[23] - Miftah Al-Ulum, Al-Sakaki, investigated by: Dr. Abdul Hamid Hindawi, 2nd Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, 2011.

[24] - Introduction by Ibn Khaldoun, Abd al-Rahman Ibn Khaldun, investigation: Hajar Assi, Al-Hilal Library, Beirut, 1988 AD.

[25] - Research Methods in Language, d. Tammam Hassan, d., Anglo-Egyptian Library - Cairo, 1990 AD.

[26] - Nabhar in Arabic, d. Khaled Abdel Halim Al-Issa, 1st Edition, Modern Book World, Irbid, 2011.

[27] - Cultural Criticism, Abdullah Muhammad Al-Ghadami, 3rd Edition, The Arab Cultural Center, Beirut, 2005.